



آداب

ISSN 0302- 8844  مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم



العدد 55

المجلد 2

يوليو 2026



آداب



ISSN 0302- 8844

مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد ٥٥ المجلد ٢. يوليو ٢٠٢٦

هيئة التحرير	الهيئة الاستشارية
رئيس التحرير أ.د. صديق مصطفى الريح مدير التحرير أ.د. أزهرى مصطفى صادق علي أعضاء هيئة التحرير أ.د. الصادق يحيى عبد الله د. محمد الفاتح حياتي د. عفاف محمد الحسن د. رشا البارودي د. نادرة عبد الله علي د. وليد نورالدائم د. أحمد عبد المنعم سكرتارية المجلة أ. وليد مدثر أ. سارة مأمون	أ.د. فدوى عبد الرحمن علي طه أ.د. علي عثمان محمد صالح أ.د. جلال الدين الطيب أ.د. رقية السيد الطيب العباس أ.د. حمد النيل محمد الحسن أ.د. الحسين النوريوسف أ.د. يحيى فضل طاهر أ.د. مبارك حسين نجم الدين د. يونس الأمين د. محاسن حاج الصافي د. حسن علي عيسى
تعلنون إلى رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب ٣٢١ أو البريد الإلكتروني: Journal.art@uofk.edu أو siddig.alrattyah@uofk.edu	

المحتويات

القسم العربي

١	 أثر القرآن الكريم في اللغة العربية. د. عبد القادر محمد أحمد
٢٥	 مسائل صرفية من كتاب (مجالس العلماء) للإمام أبي القاسم الزجاجي. محي الدين محمد جبريل محمد
٣	 المعلقات السبع جدليتا الرواية والتعليق. د. أبو هداية محمد إسماعيل محمد. أ. د. يوسف محمد توتو محمد
٥٨	 علي
٩٤	 ٤. هندسة الاختبارات اللغوية من معايير الصدق والثبات إلى تحديات التطبيق (دراسة تحليلية في ضوء بطاقة تحليل). د. سعيدة عمر محمد ثاني
١٥٢	 ٥. منطقة الحلاوين في ظل الدولة السَّائِرَة ١٥٠٤ - ١٨٢١ م. د. محمد الفاتح حياتي
١٧٧	 ٦. الجذور السوسيو-اقتصادية للصراع في السودان: مراجعة تحليلية نقدية للأدبيات المعاصرة ٢٠٢٠ م - ٢٠٢٥ م
١٩٦	 د. بابكر عيسى أحمد محمد
	 ٧. الخطوط الحديدية السعودية في منتصف القرن العشرين: دراسة تحليلية لأبعادها الإدارية والاقتصادية
	 وأثرها التنموي (١٣٦٦هـ - ١٣٧٥هـ / ١٩٤٧م - ١٩٥٥م). د. حمد بن محمد صالح الصيخان

القسم الأجنبي

8. Artificial Intelligence -Assisted Translation and the Future of Professional Translators (Descriptive and analytical Study). Dr .Muntasir Mohammed Elhadi Elnor Mohammed.	244
9. Talent and Torment: The Emotional Burden of Literary Genius in Modern Sudanese Writing. Eiman Abbas El-Nour, Adil Babikir.....	285
10. Tempestuous Relations: Adaptation as Textual Movement in Césaire's Une Tempête Suha Anam	310

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يناير ويوليو من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني journal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrayyah@gmail.com.
٤. يراعى في البحث ألا يتجاوز ١٠,٠٠٠ كلمة، وألا يقل عن ٥٠٠٠ كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية.
٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠) كلمة، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث بالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة أو الصفحات) مثال: (صديق، ٢٠٢١، ١٤) (Adams, 2000, 14). وتوثق في قائمة المراجع والمصادر كما يلي:
للكتب وبحوث المؤتمرات:
● أحمد بدوي. أسس النقد الأدبي عند العرب. القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤م.
للمقالات والفصول في الكتب:
● قاسم المومني. "علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية". عالم الفكر. الكويت: العدد الثالث يناير/مارس ١٩٩٧م. ١١٣-١٢٨.
٧. يراعى في المراجع الأجنبية النمط نفسه
٨. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
٩. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.
٩. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعد لإكمال مطلوبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
١٠. لهيئة التحرير الحق في رفض أي بحث مقدم لها دون إبداء الأسباب.
١١. دفع رسوم النشر المقررة على الباحثين غير السودانيين والسودانيين بالخارج أو من خارج الجامعة كل على حسب فنته.

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

د. عبد القادر محمد أحمد

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم

المستخلص

يهدف هذا البحث لدراسة تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية من خلال تعداد الآثار والفضائل التي أضفاها القرآن الكريم على لغة الضاد؛ وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي، والتاريخي. وخلص البحث إلى نتائج أهمها: أنه كان سبباً في خلودها، وسراً في بقائها الأبدى - أنه جمع العرب على لهجة قريش، لكونها أفصح قبائل العرب وأصفاهم لغةً - أثري اللغة العربية بمصطلحات دينية جديدة - هذب القرآن اللغة العربية بتخليصها من اللفظ الغريب، والسمو بها من حيث الأساليب، وترقية الذوق الأدبي - أثر القرآن في الشعر، حيث توشّحت معانيه وكلماته بروح القرآن وتعاليمه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ اللغة العربية؛ أثر القرآن؛ لهجة قريش؛ المصطلحات الدينية؛ الشعر العربي؛ التذوق الأدبي

Abstract

This study aims to examine the influence of the Holy Qur'an on the Arabic language by identifying the impacts and virtues that the Qur'an has bestowed upon the language of Dād. The study adopts the descriptive-analytical and historical approaches. The study reached several significant findings, the most important of which are: the Qur'an contributed to the perpetuation and enduring survival of the Arabic language; it united the Arabs around the dialect of Quraysh, as Quraysh was considered the most eloquent of the Arab tribes and the purest in its use of the language; it enriched the Arabic language with new religious terminology; and it refined the Arabic language by eliminating obscure and unfamiliar expressions, elevating its stylistic quality, and cultivating literary taste. The Qur'an also exerted a profound influence on poetry, as its meanings and vocabulary became imbued with the spirit of the Qur'an.

Keywords: The Holy Qur'an; Arabic Language; Qur'anic Influence; Quraysh Dialect; Religious Terminology; Arabic Poetry; Literary appreciation

مقدمة

كان العرب في جاهليتهم قد برعوا في الخطابة والفصاحة والبيان. وكان للغة العربية المكانة العظيمة في نفوس متحدثيهم، فكانت أشبه بمعجزتهم التي ليس لها ما يضاهيها. ثم أنزل الله آيات الكتاب العزيز بذات الحرف والكلم، فكانت الأكثر بلاغةً والأفصح معنى.

لقد شرف المولى عز وجل اللغة العربية باختيارها لغةً للقرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وقال جل شأنه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

وهكذا فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينشئ هذه الأصرة المتينة، والترابط القوي بين كتابه العزيز وبين لغة العرب. فكان القرآن الكريم واللغة العربية كالتوأم. لذا كان هناك تأثير وتأثر، فما الأثر الذي أحدثه القرآن في اللغة العربية؟ وما الفوائد التي جنتها العربية من القرآن؟ الصفحات التالية ستجيب بالتفصيل عن هذا السؤال.

تعريف لفظ "قرآن":

جاء في لسان العرب: قرأه يقرؤه يقرؤه - الأخيرة عن الزجاج - قرأاً وقرأةً وقرآنًا، الأولى عن اللحياني، فهو مَقْرُوءٌ. ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمي قرآنًا لأنه يجمع السُّور، فيضمها (ابن منظور، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، مادة قرأ).

وَقَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض. ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سَلَى قَطُّ، وما قرأت جنيًا قط، أي: لم يَضْطَمَّ رحمها على ولد، وأنشد قول عمرو بن كلثوم:

ثُرَيْكُ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنْتُ عَيْنَ الْكَاشِحِينَ
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءٍ هَجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

(الزَّوْزَنِي، د.ت، ٩٣)

وجاء في المعجم الوسيط: "قرأ الكتاب يقرؤه قِرَاءَةً وَقُرْآنًا: تَبَّعَ كلماته نظراً ونطق بها. وقرأ: تَبَّعَ كلماته ولم ينطق بها، وسميت حديثاً بالقراءة الصامتة. وقرأ الآية من القرآن: نطق بالفاظها عن نظر، أو عن حفظ، فهو قارئ، والجمع قُرَاءٌ". (الزِّيَّات وآخرون، ١٣٩٢هـ - مايو ١٩٧٢م، ٧٢٢)

أما لفظ القرآن اصطلاحاً فيعرِّفه الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بأنه المنزل على الرسول ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة. (الجرجاني، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢٢٣).

تعريف لفظ لغة:

يورد ابن منظور: "لَغَا فلان عن الصواب وعن الطريق: إذا مال عنه؛ قاله ابن الأعرابي، قال: "واللغة أُخِذَتْ من هذا؛ لأن هؤلاء تكلموا بكلامٍ ما، مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين. واللغو: النَّطْق. يُقَال: هذه لغتهم التي يلغون بها، أي: ينطقون". (ابن منظور، ١٤٤٣هـ - ٢٠١٣م، مادة لغا)

ويعرِّف الجرجاني كلمة اللغة اصطلاحاً بأنها هي "ما يعبرُّ بها كل قوم عن أغراضهم" (الجرجاني، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢٤٧).

تعريف لفظ "العربية":

يقول صاحب المصباح المنير: "أعربتُ الشيء، وأعربتُ عنه، وعربتُه، وعربت عنه، كلها بمعنى التبيين والإيضاح. واللغة العربية: ما نطق به العرب". الفيومي، د.ت، مادة عرب). ويورد ابن منظور: تقول: رجل عربيّ اللسان إذا كان فصيحاً" (ابن منظور، ١٤٤٣ هـ - ٢٠١٣ م، مادة عرب).

لقد كان نزول القرآن نقطة تحول كبرى في حياة المسلمين عامة والعرب خاصة. وسرى هديه فيهم مسرى الروح، ونزل وحيه منهم منزلة الطبع، وأثر في ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم. وسنفضل الحديث هنا عن الآثار التي أحدثها القرآن الكريم في اللغة العربية.

أولاً: القرآن الكريم كان سبباً في خلود اللغة العربية

لقد كان القرآن الكريم سبباً في خلود اللغة العربية والحفاظ عليها من الضياع. ويكفي أن المولى عزّ وجلّ تكفل بنفسه بحفظ اللغة العربية، لغة الذّكر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولبيان أثر القرآن في حفظ اللغة العربية من الضياع نقتبس ما أورده د. خوجة حيث يقول: "إنّ السر الكامن وراء خلود اللغة العربية، والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم، بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية متمسكة بهذا الكتاب، الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألّف بين قلوبهم، وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطّود الشامخ يتحدّى كل المؤثرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن" (خوجة، ٢٠١٢ م، ٢-١٠).

ويمضي د. خوجة في بيان أثر القرآن الكريم في تخليد اللغة العربية مبيناً الترابط القوي بينهما، قائلاً: "فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا أن كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية. وأن النبل من اللغة العربية هو نبل من القرآن الكريم، لأن الدفاع عنه يستتبع الدفاع عنها، لأنها السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع أحد" (خوجة، ٢٠١٢م، ٢-١٠).

لقد نزل القرآن الكريم، وكان العرب إذ ذاك قد ملكوا ناصية الفصاحة والبيان شعراً ونثراً، كما يقول السيوطي: "بعث الله محمداً ﷺ وأكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عُدّة" (السيوطي، ١٩٧٣، ١٧/٢).

ورغم علو شأن العرب في لغة الضاد وطول باعهم في الفصاحة، إلا أنهم عجزوا عن مجارة القرآن الكريم. فقد تحدّى المصطفى عليه السلام العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

أ. تحدّاهم بأن يأتوا بالقرآن كله في أسلوب عام يتناول غيرهم من الإنس والجنّ، تحدّياً يتفوق على طاقتهم مجتمعين، حيث يقول جلّ وعلا: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ب. ثم نزل بالتحدّي بأن يأتوا بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

ج. وأخيراً نزل بالتحدّي إلى أقله بأن يأتوا بسورة واحدة من القرآن، حين يقول سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وأمام هذا التحدي يؤكد الجاحظ أنّ أحداً من العرب لم يستطع أن يعارض القرآن، حيث يقول: "ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحدّاهم الرسول ﷺ بنظمه، ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه. ولو طمع فيه لتكلّفه، ولو تكلّف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة، لعظمت القضية على الأعراب وأشباه الأعراب" (الجاحظ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٩٦ م، ٣/ ٨٩).

ويمتدح الباقلاني (ت ٤٠٢ هـ) إعجاز القرآن، ويبين عجز العرب عن الإتيان بمثله حين يقول متحدثاً عن كتاب الله تعالى: "... فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنّه خارج عن العادة وأنّه معجز. وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن الكريم، وتميّز حاصل في جميعه. ومنها أنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرّف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر" (الباقلاني، إعجاز القرآن، ١٩٧٣، ١/ ٥٩).

ويؤكّد الثعالبي (في كتابه فقه اللغة وسر العربية) الوشائج القوية بين اللغة والعربية ودين الإسلام. حيث يقول ما نصه: "مَنْ أَحَبَّ الله تعالى أَحَبَّ رسوله ﷺ، وَمَنْ أَحَبَّ الرسول العربي أَحَبَّ العرب؛ وَمَنْ أَحَبَّ العرب أَحَبَّ العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضل العرب والعجم؛ وَمَنْ أَحَبَّ العربية عُنِيَ بها، وثابر عليها، وصرف همه إليها؛ وَمَنْ هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أنّ محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الدّيانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدّين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب، كالينبوع للماء، والزّند للنار...." (الثعالبي، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، ١).

ثانياً: جَمْعُ القرآن قبائل العرب على لهجة قريش

مما لا شك فيه أنَّ العرب كانوا متفرقين إلى عدَّة قبائل قبل بعثه محمد ﷺ. وكان لكل قبيلة لهجتها الخاصة في النطق بالكلمات. وكان العرب يجتمعون في سوق عكاظ ومواسم الحج بخطبائهم وشعرائهم. وفي هذا المؤتمر التجاري العلمي كانت أفكارهم تتلاقى، ويستفيد بعضهم من بعض. وبهذا النهج طرأ على هذه اللهجات تغيّر وتطوّر، إلى أن بزغ فجر الإسلام، وأنزل الله تعالى كتابه بلسان عربي مبين. وسرعان ما سارعت العرب إلى اتباع طريقته في الفصاحة والبيان (نواصرة، د.ت، ٢٠٧).

لقد استقر الرأي أن تكون لهجة قريش هي المرجع الذي يعتمد عليه العرب. ويتجلى ذلك في الجمع الثاني للقرآن الكريم في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-. ففي عهده اتّسعت الفتوحات الإسلامية وتفرّق القُرّاء في الأمصار، واعتمد أهل كل مِصر قراءة من وفد إليهم، فحدثت اختلافات كثيرة في وجوه القراءة. السبب الذي دفع الصحابي حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- لينصح الخليفة عثمان -رضي الله عنه- بتدارك الأمر. وفي هذا يورد د. مناع القطان (القطّان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ١٢٩).

حديث البخاري الذي يرويه أنس -رضي الله عنه-: "أنَّ حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قدم على عثمان -رضي الله عنه- وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة -رضي الله عنه- اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان -رضي الله عنه- أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان -رضي الله عنه- إلى حفصة -رضي الله عنها- أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك - فأرسلت بها حفصة -رضي الله عنها- إلى عثمان -رضي الله عنه- فأمر زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، وعبد الله بن الزبير -رضي الله عنه-، وسعيد بن العاص -رضي الله عنه- وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام -رضي الله عنه-،

فنسحوها في المصاحف، وقال عثمان - رضي الله عنه - للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت - رضي الله عنه - في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسانهم ...". (البخاري، ١٤٢٢هـ، حديث رقم ٤٩٨٧).

ويبين السيوطي فضل لهجة قريش وسبب اختيارها على ما سواها من اللهجات الأخرى، حيث يقول: أجمع علماءنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحامهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنةً، وأصفاهم لغةً؛ وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب، واختار منهم محمداً ﷺ، فجعل قريشاً قُطَّانَ حرمة، وولاة بيته، فكانت وفود العرب من حُجَّاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، وكانت قريش - مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها - إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم؛ فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طُبِعُوا عليها؛ فصاروا بذلك أفصح العرب (السيوطي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ٢٠٩-٢١٠).

ويؤكد د. شوقي ضيف (في كتابه: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي) أن جمع القرآن لقبائل العرب على لهجة قريش أسهم في حفظ اللغة العربية وانتشارها في جميع أصقاع العالم، حيث يقول: "من غير شك أتاح هذا الحفظ للهِجَة قريش لا أن تنتشر في العالم الإسلامي فحسب، بل أن تُحفظ أيضاً وتظل على مر العصور غُصّة لا تبلى مع الزمان، وأيضاً فإنها اكتسحت ما لقيت من لغات، إذ اتخذتها شعوب - لا حصر لها - لسانها، فأصبح هو اللسان الأدبي من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسي. فكل من عاشوا في هذه الأنحاء تكلموا العربية القرشية، إذ حلت من ألسنتهم محل لغاتهم الأولى، وأصبحوا عرباً يعبرون بالعربية عن مشاعرهم وعقولهم. وكل ذلك بفضل القرآن الكريم، فهو الذي حفظ العربية من الضياع، ونشرها في أقطار الأرض، وجعلها لغة حيّة خالدة" (شوقي ضيف، ١٩٦٣م، ٣١).

لقد أيقن العرب أن القرآن الكريم يزيد لغتهم حسناً ويضفي عليها عذوبةً. لذا فقد أقبلوا على القرآن يستمعون لآياته، بل حتى المشركين لم يترددوا في الاعتراف بجمال بلاغة القرآن. ونضرب مثلاً لذلك بقصة الوليد بن المغيرة التي يرويها الطبري (ت ٣١٠هـ). فقد جاء الوليد إلى النبي ﷺ، الذي قرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له. فبلغ ذلك أبا جهل، الذي جاء للوليد طالباً منه أن يقول قولاً يدل على أنه مُنكر لما قال محمد ﷺ فقال الوليد: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إنَّ لقوله لحلاوة، وأنه ليحطَّم ما تحته، وأنه ليعلو ولا يُعلَى. قال أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يآثره عن غيره". (الطبري، د.ت، ٢٣-٢٦).

وفي موقف الوليد هذا نزلت آيات سورة المدثر حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤)﴾ [المدثر: ١٨-٢٤].

ثالثاً: القرآن وإثراؤه للغة العربية

كذلك كان من أفضال القرآن الكريم على اللغة العربية أنه حوّلها إلى لغة ذات دين سماوي باهر. فوسّع دائرة اللغة بإدخال معانٍ وألفاظ دينية لم تكن معروفة من قبل مثل: الفرقان، والإسلام، والإيمان، والمؤمن، والكافر، والنفاق، والإشراك، والصّوم، والزكاة، والوضوء، والتميم، والصلاة، والقيام، والركوع، والسجود، حيث أنّ المعنى الاصطلاحي (الشرعي) لهذه المفردات غير المعنى اللغوي لها (شوقي ضيف، ١٩٦٣م، ٣٢ / الزيات، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م، ٩٥-٩٦).

بالإضافة إلى ذلك فقد أوجد القرآن في اللغة العربية علوماً لم تكن لتُعرَف لولاه. شمل ذلك

علوم شرعية كال تفسير والحديث والفقه، وعلوم لغوية كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة، وعلوم فلسفية كال توحيد وعلم الكلام والمنطق والفلسفة الإسلامية، وغيرها من العلوم (خوجة، ٢٠١٢، ٢-١٠).

لقد أعاد القرآن الكريم على اللغة العربية قوة ورقياً بما وهبها من المعاني الفياضة والألفاظ الجديدة، وفي ذلك يقول الرافعي ما نصه: "....صَفَّى القرآن اللغة العربية من أكرارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجل من الشباب، ثم هو بما تناول من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركّبها به من المطاوعة في تقلّب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهر مظهراً لا يقضي العجب منه، لأنه جلاها على التاريخ كله، لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بُهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود، لأنها هي لغتهم التي يعرفونها، ولكن في جزالة لم يُمضغ لها شِيع ولا قيصوم"^(١) (الرافعي، ١٩٧٤ م، ٢/ ٧٤)

رابعاً: تهذيب القرآن للغة العربية

خالط القرآن من العرب قلوباً قاسية فألأنها، وطباعاً جافية فأرقّها، فأكسب ذلك اللغة عذوبة في اللفظ. ورقة في التركيب، ودقة في الأداء، وقوة في المنطق، وثروة في المعاني. (الزيّات، ١٤٢٧هـ، ٩٥-٩٦) أجل، لقد كان للقرآن الكريم وللحديث الشريف أعظم الأثر في توجيه الأدب، وتهذيب الأساليب، وتربية الذوق. (المطعني، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ٦٠-٦٢)

ويمكننا القول إنّ القرآن هذب اللغة من اللفظ الغريب، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز

(١) الشَّيْخ والقَيْصُوم: نباتان من نباتات البادية، يُضرب بهما المثل، فيقال: فلان يمضغ الشَّيْخ والقَيْصُوم، إذا كان عربياً خالص البدوة.

من البيان والبلاغة. اختطّ القرآن في ذلك أسلوباً جزلاً له رونق وطلاوة، مع وضوح القصد، والوصول إلى الغرض من أقرب مسالكه. فاللفظ على قدر المعنى، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب، بل يقرب منها حتى يلمس الشّغاف. ومما لا شك فيه أنّ القرآن هو الذي ابتدع هذا الأسلوب المحكم، بل هذا الأسلوب السهل الممتنع الذي يلذّ الأذان حين تستمع له، والأفواه حين تنطق به، والقلوب حين تصغي إليه (ضيف، ١٩٦٣ م، ٣٣).

ويشير الزرقاني في (كتابه مناهل العرفان) إلى علو بلاغة القرآن، وأنّ العرب اعترفوا بذلك، وتذوّقوا هذا الفن واحتفوا به حيث يقول: "والكلام في أسرار بلاغة القرآن ووجوه إعجازه، وفي بلاغة كلام النبوة وامتيازته، وفي تنافس العرب في ميدان البيان، كل ذلك مما لا يحتاج إلى شرح ولا تبيان، فهذا كتابُ الله ينطق علينا بالحق، ويتحدّى بإعجازه كافة الخلق. وهذا بحر النبوة يفيض بالدراريّ واللآلئ، ويزخر بالهدايات البالغة والحكم الغوالي. وهذا تاريخ الأدب العربي يسجّل لأولئك العرب تفوّقهم في صناعة الكلام، وسبقهم في حلبة الفصاحة كافة الأنام، وامتيازهم في تذوّق أسرار البلاغة خصوصاً بلاغة القرآن!!" (الزرقاني، د.ت، ٢٩٧).

إنّ جمال القرآن ودقته ليتجلّى باختياره للألفاظ الرقيقة والعذبة في موضع الترغيب والتبشير، والألفاظ العنيفة والقوية في حال التهديد والوعيد.

ففي مواضع اللّين نضرب مثلاً بقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾ [التكوير: ١٥-١٨]. إنّ حرف السين وتكراره في هذه الآيات يُشعر النفس بالهدوء والراحة والسكينة. يقول سيّد قطب عند تفسيره لهذه الآيات ما نصّه: الحُنُوس والجوارِ الكُنَّس: هي الكواكب التي تخنس، أي: ترجع في دورتها الفلكية وتجري وتختفي. والتعبير يخلع عليها حياة رشيقة كحياة الطّباء، وهي تجري وتختبئ في كناسها وترجع من ناحية أخرى. فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرشيّق الأنيق عن هذه الكواكب،

وهناك إحياء شعوري بالجمال في حركتها.. في اختفائها وفي ظهورها.. في تواريتها وفي سفورها.. في جريها وفي عودتها، يقابله إحياء بالجمال في شكل اللفظ وجرسه". (سيد قطب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣٨٤١ - ٣٨٤٢).

ويمضي قطب متتبّعاً هذه الألفاظ وما تحمله من سحر أخاذ وما تفيض به من عذوبة ورقة ولطافة قائلًا: "والليل إذا عسعس" أي: أظلم، ولكن اللفظ فيه تلك الإحياءات كذلك. فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين: "عس - عس"، وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى! وهو إحياء عجيب واختيار للتعبير رائع. ومثله: "والصبح إذا تنفس".. بل هو أظهر حيويّةً، وأشدّ إحياءً، والصبح حيّ يتنفس؛ أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدبّ في كل حيّ. وأكاد أجزم أنّ اللغة العربية بكل مآثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح. ورؤية الفجر تكاد تُشعر القلب المفتوح أنه بالفعل يتنفس" (سيد قطب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣٨٤١ - ٣٨٤٢).

وعلى النقيض من الحالة الأولى، فإنّ القرآن في مواضع التخويف والإنذار يلجأ إلى أشد وأقسى الألفاظ التي تناسب ذلك الموقف. ونأخذ مثلاً لذلك آيات من سورة "ق" حيث يقول تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)﴾ [ق: ١٩-٢١]

إنّ حرف الدال وتكراره ليزلزل جنبات النفس، ويثير فيها الخوف والهلع. يورد قطب في تفسير الآية الأولى من هذه الآيات المذكورة قائلًا: "... والموت أشدّ ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه، أو يُبعد شبحه عن خاطره. ولكن أتى له ذلك والموت طالبه لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا يخلف الميعاد؛ وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدبّ في الأوصال! وبينما المشهد معروض يسمع الإنسان: ذلك ما كنت منه تحيد. وإنّه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين

تقال له وهو يعاني السّكرات...". (سيد قطب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٣٣٦٤).

(وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ): يقول قطب: وهو مشهد يكفي استحضاره في النفس لتقضى رحلتها كلها على الأرض في توجّس وحذر وارتقاب.

(وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد): يورد قطب في تفسيرها: جاءت كل نفس. فالنفس هنا هي التي تُحاسب، وهي التي تتلقّى الجزاء. ومعها سائق يسوقها وشاهدٌ يشهد عليها، وهما الكاتبان الحافظان لها في الدنيا على الأرجح" (سيد قطب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٣٣٦٤).

ويرى قطب أن سورة (ق) بأكملها تفيض بالرهبة وتَسَّم بالإيقاع القوي. يصفها قطب قائلاً: "إنّها سورة رهيبة، شديدة الوقع بحقائقها، شديدة الإيقاع ببنائها التعبيري، وصورها وظلالها وجرس فواصلها. تأخذ على النفس أقطارها، وتلاحقها في خطراتها وحركاتها، وتتعبها في سرّها وجهرها، وفي باطنها وظاهرها. تتعقبها برقابة الله، التي لا تدعها لحظة واحدة من المولد، إلى الممات، إلى البعث إلى الحشر، إلى الحساب..." (سيد قطب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٣٣٦٤).

خامساً: تأثير القرآن في الشعر

مما لا شك فيه أنّ الإسلام قد أحدث نقلة كبرى وتغيّراً جذرياً في عقائد العرب، وعباداتهم، ومُثُلهم، وأخلاقهم ونظام حياتهم، فببزوغ فجر الرسالة المحمدية كان القرآن الكريم والحديث الشريف هما الموجّهان للناس للطريق القويم، الذي به تكون سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وكما لمسنا في الصفحات الفائتة المزايا التي طوّق القرآن بها اللغة العربية، فإننا هنا نفرّد الحديث لنرى أثر القرآن في الشعر خاصة. فلقد اتّخذ الأدباء والشعراء أسلوب القرآن هادياً في طريقته البيانية وأسلوبه البديع، فاغترفوا من معانيه، وحفظوا روائعه، فكان لهم منه معين فيّاض،

ظهر ساطعاً وجلياً في آدابهم وأشعارهم.

لقد واكب الشعر في صدر الإسلام الأحداث كلها. ولعل أهم تلك الأحداث هي دعوة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام، وهي دعوة اضطرت له هو وأصحابه المؤمنون لحمل السيف ضد أعدائه المشركين.

ومع حرب السَّنان هذه، كانت تسير جنباً إلى جنب حرب اللِّسان. فظهرت أسماء عدد من شعراء المشركين الذين كانوا يسدّدون سهام هجائهم صوب الرسول عليه السلام وصحابته الكرام ودينه الحنيف. نذكر منهم أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزُّبَيري السهمي، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب الفهري. وهنا استنفر المصطفى عليه السلام الأنصار قائلاً: "ما منع القوم الذين نصرُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مِقْوَلٌ بين بُصْري وصنعاء. فقال عليه السلام: "كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: إني أسلّك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله ابن رواحة. (الأصفهاني، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ١٠٥-١١٠).

وسنضرب أمثلة لنرى كيف تأثّر هؤلاء الشعراء المخضرمون بروح الإسلام والقرآن في قصائدهم. فهذا حسان بن ثابت يُقال إنّ أول ما جادت به قريحته هي همزيتة في فتح مكة (٨هـ)، والتي يستهلها بما اعتاد عليه الجاهليون من الوقوف على الأطلال وذِكر المنازل والدِّمن، حيث يقول:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

(حسان، د. ت، ٧)

ولكن موضوعه الرئيسي في القصيدة هو مدح النبي ﷺ، والردّ على هجاء أبي سفيان بن الحارث الذي كان قد هجا المصطفى عليه السلام، حيث يقول حسان:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا، فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍ؟ فَشُرْكَمَا لَخَيْرُكَمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا، بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ

ولا يخفى النَّفسَ الديني، والتأنيُّ بلغة القرآن عند الشاعر في هذه الأبيات.

وفي غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون، أمر رسول الله ﷺ أن يُطرح قتلى المشركين ببدر في قليب. فلما طُرِحوا فيها، جاء عليه السلام حتى وقف عليهم فناداهم: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ أما أنا فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً. فقيل له: يا رسول الله! أتنادي قومًا قد جِيفُوا، فقال: "ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون". لقد صوّر الشاعر حسان هذا الموقف بقوله:

يَنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلْبِ
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ؟
فَمَا نَطَقُوا، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ، وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ

(حسان، د. ت، ١٣٥-١٣٦)

ولا يُذكر الشعراء في صدر الإسلام إلا ويذكر كعب بن زهير بن أبي سلمى، سليل الأسرة الشاعرة. فقد كان كعب في البداية مشركاً يجاهر بعدايه للرسول ﷺ، الذي أهدر دمه. ولما هداه تعالى جاء إلى المصطفى تائباً، وأنشد الشعر بين يدي رسول الله ﷺ وفي مسجده، بل ومستهللاً لاميته المشهورة بالغزل -على عادة الشعراء الجاهليين- حيث يقول:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليوم متبولٌ متىم إثرها لم يُجْزَ مَكْبُولُ

ولكنه ما يلبث أن يعتذر فيها عما سلف منه قائلاً:

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأْمُولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةً الـ قرآن، فيها مواعِظٌ وَتَفْصِيلُ
لا تأخذني بأقوال الوشاة، ولم أذنب، ولو كثرت في الأفاويل

ثم يختم قصيدته مادحاً للنبي عليه السلام والمهاجرين، بقوله:

إنَّ الرّسول لنور يُستضاء به وصارمٌ من سيوف الله مسلُولُ
في عصبَةٍ من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا: زُؤلُوا
زالوا، فما زال أنكاس ولا كُشفُ يوم اللقاء ولا سُودٌ مَعَاذِلُ

(ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١/١٥٣-١٥٤)

وقد ذكروا في أمر هذه القصيدة أنّ كعباً لما قال:

لا يقع الطعنُ إلّا في نُحُورِهِمْ وما لهم عن حياضِ الموتِ تهليلُ

نظر رسول الله ﷺ إلى مَنْ كان بحضرته من قريش، كأنه يومئٍ إليهم أن أسمعوا. وأنه لما

وصل كعب إلى قوله:

إنَّ الرّسول لنور يُستضاء به وصارمٌ من سيوف الله مسلُولُ

خلع عليه الرسول عليه السلام بردة كانت عليه. وهذا هو السبب في تسمية القصيدة

بالبردة. وقد ذكروا عن هذه البردة أنَّ معاوية رضي الله عنه في زمنه كتب إلى كعب قائلًا: بِعْنَا بَرْدَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَقَالَ، مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ ثَوْبٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا. فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذها منهم. (ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١/٨٩-٩١)

كذلك من الشعراء الذين وجَّهوا جَلَّ شعرهم لنصرة الرسول ﷺ، والذود عن دعوته، عبد الله بن رواحة، والذي استشهد يوم مؤتة، ونذكر له من هجائه لقريش قوله:

نَجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ فَتَأْسِرُهُمْ	فِينَا النَّبِيُّ، وَفِينَا تُنْزَلُ الشُّورُ
وَقَدْ عَلِمْتُمْ بَأَنَّا لَيْسَ غَالِنَا	حَيٌّ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ عَزُؤًا وَإِنَّ كَثُرُوا
يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ إِنْ اللَّهُ فَضْلَكُمْ	عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلًا مَالَهُ غَيْرُ
فَبَيَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ	تَثَبَّتَ مُوسَى، وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا

(ابن سلام، د.ت، ٢٢٥-٢٢٦)

وتأثر شعر ابن رواحة بالقرآن واضح وجلي في هذه الأبيات، وأيضاً في قوله:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ	إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ اللَّيْلِ سَاطِعُ
أَرَانَا اهْتَدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقَلُوبُنَا	بِهِ مَوْقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ	إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمَشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

(القرطبي، د.ت، ٩٩-١٠٠)

ولا يخفى الاقتباس من القرآن الكريم في هذه الأبيات، وأن البيت الأخير (يجافي جنبه وفراشه...) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا

رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿[السجدة: ١٦] .

وإذا وقفنا مع النابغة الجعدي، نجد أنه أتى النبي ﷺ معلناً إسلامه، وكان أول ما أنشده رأيته التي يقول فيها:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَتَلُو كِتَاباً كَالْمَجْرَةِ نِيَّراً
بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدًا وَجُودًا وَسُودَدًا وَإِنَّا لَنَرُجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(النابغة الجعدي، ١٩٩٨ م، ٧٨-٨٦)

فقال الرسول ﷺ: فأين المظهر يا أبا ليلى؟"، فقال: الجنة؛ فقال عليه السلام: قل إن شاء الله فقال النابغة: إن شاء الله، وزاد قائلاً:

وَلَا خَيْرَ فِي حَلَمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوِهِ أَنْ يُكْدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُرِدَ الْأَمْرُ أَصْدَرَا

فقال عليه السلام: لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك. قيل: فبقي عمره ولم تنفض له سِنَّ. (ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١/٢٨٠).

فتعاليم الإسلام وتعايير القرآن تضيف أثوابها البرّاقة على الأبيات المذكورة.

ونختتم أثر القرآن في الشعر بأبيات لشاعر النيل حافظ إبراهيم. يتحدث حافظ بلسان اللغة العربية التي تنعي حظّها بين أهلها، وتذكّرهم بمآثرها الجمّة وارتباطها القوي بالقرآن الكريم. يقول فيها:

وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظاً وَغَايَةً وَمَا ضَمَّتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ

فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغَوَاصَ عن صَدَقَاتِي؟

(حافظ إبراهيم، ١٩٩٦م، ٢٥٣-٢٥٤)

خاتمة

من خلال استعراضنا لهذه الدراسة، يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

أولاً: كرم الله تعالى اللغة العربية باختيارها لغة لآخر كتبه (القرآن الكريم) المنزل على خاتم أنبيائه محمد ﷺ. وحق للعربية أن تفاخر وتباهى بهذا الشرف الرباني.

ثانياً: كان العرب في قمة الفصاحة في جاهليتهم. ثم نزل القرآن الكريم، ففاجأهم بسلسيل بيانه، وعقدت الدهشة ألسنتهم من تفوق بلاغته. وخضعت له أعناقهم، وأذعنت له أذواقهم، وتيقنوا ألا سبيل إلى مجاراته، فانقادت إليه ملكاتهم وسجاياهم.

ثالثاً: جاء القرآن الكريم حافلاً بصور البيان، وضروب البديع، ووضوح المعنى، وقوة الأسلوب وجزالته، فكان التنزيل العزيز بذلك حديقة غناء دانية القطوف، وارفة الظلال.

رابعاً: مثلما غير القرآن في حياة العرب وعاداتهم ومعاملاتهم، فقد كانت له آثار إيجابية أيضاً على لغتهم.

خامساً: تسابق الخطباء والأدباء والشعراء للاقتباس من نور الفرقان الباهر المتلألئ، والاعتراف من بحره الصافي العذب، فتدثرت معانيهم بثوب الإسلام، ورقت ألفاظهم، وتزينت قوافيهم.

سادساً: وهكذا فإن تأثير القرآن في لغة الضاد كان واضحاً وجلياً للغاية من حيث الشكل

والمضمون.

فنصوص الكتاب الحكيم مقدّسة إلى قيام الساعة، فبخلود هذه النصوص القرآنية بقيت
وستظل اللغة العربية حيّة نابضة إلى الأبد، ونجمل القول بأنّ القرآن الكريم وهب اللغة العربية
إكسير الحياة وسر البقاء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إبراهيم، د. محمد السيد، قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، أ. بكر عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، نسخة أخرى تحقيق د. قصي الحسين، قام بفهرسته ومراجعتها: أ. عادل عبد الجبار، أ. أثير هادي، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، إعجاز القرآن، (بهامش الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي)، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، ١٩٧٣ م.
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، حققه ووضع فهارسه السقا، الأبياري، شلبي، (مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح أ. عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٥ هـ - ١٩٩٦ م.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، حققه وقدم له ووضع فهارسه أ. إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.
- الجعدي، النابغة الجعدي، أبو ليلى، عبد الله بن قيس، ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٨ م.
- حافظ، حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة، بيروت - لبنان، ١٩٩٦ م.
- حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، بيروت - لبنان (د.ت).
- خوجة، د. خير الله، فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها، مجلة القسم العربي، العدد التاسع عشر، جامعة بنجاب، لاهور - باكستان، ٢٠١٢ م.
- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٧٤ م.
- الزرقاني، د. محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت - لبنان (د.ت).
- الزوزني، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات العشر، مع مقدمة لتاريخ ومكانة أصحاب المعلقات، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان (د.ت).
- الزيّات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار الشرق العربي، الدوحة - قطر، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
- ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه أ. محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، المملكة العربية السعودية، (د.ت).

- السَّيُوطِي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي:
- **الإتقان في علوم القرآن**، وبهامشه إعجاز القرآن - تأليف أبي بكر الباقلاني، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، ١٩٧٣ م.
- **المُزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وضبطه وصحَّحه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه الأساتذة: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ضيف، د. شوقي، **تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)**، دار المعارف، القاهرة، ط ١٣، ١٩٦٣ م.
- الطَّبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار التربية والتراث، مكة المكرمة (د.ت.).
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق د. عبد المجيد الرّحيني - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- فروخ، د. عمر، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ٨، ٢٠٠٦ م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان (د.ت.).
- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أ. أحمد محمد شاكر، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، الناشر: مؤسسة مناهل العرفان، بيروت - لبنان (د.ت.).
- القطان، د. مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٥، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

- قطب، سيّد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٢٧، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- كعب، بن زهير، شرح ديوان كعب بن زهير، صنعه أبي سعيد الحسين بن عبيد الله السكري، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢، ١٩٩٥ م.
- مصطفى، إبراهيم - الزيات، أحمد حسن - عبد القادر، حامد - النجار، محمد علي، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول تركيا، ط٢، القاهرة، ١٣٩٢ هـ - مايو ١٩٧٢ م.
- المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، طبعة مراجعة ومصحّحة بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين. طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها الأساتذة: السقا، الأبياري، شلبي، (مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي)، الناشر: دار المغنى للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.